المضامين القيمية في المسرح الحسيني

بقلم: د. حسن هاشم حمود/ باحث في مركز الفيض العلمي لاستطلاع الراي والدراسات المجتمعية

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

تمهيد

يعد فن المسرح من أبرز أنواع الفنون منذ القدم، فمثلًا عند اليونان كان يلعب دورًا كبيرًا في توجيه المجتمع لذلك نجد مثلا الفيلسوف ارسطو يعطيه دورًا كبيرًا في تطهير النفوس من الانفعالات السالبة وتوجيهم من خلال ترغيبهم الى الانفعالات الحسنة من خلال المأساة والملهاة واللتان تشكلان وجهين لعملة واحدة هي المسرح، الذي شكل تطور الفكر البشري عبر مختلف العصور مادة دسمة اشتغل ضمنيًا عدد هائل من الباحثين، إذ حاول هؤلاء الكشف عن ترابط ابداعات هذا الفكر في جل الميادين باختلاف تخصصاتها، وعبر مختلف الحقب التاريخية، من ابرزها تلك التجمعات المميزة والضامة لعدد هائل من الأفراد بأختلاف آرائهم ومعتقداتهم، جل ما فرضه هذا الاجتماع على مجموع أفراده المنخرطين فيه بأرادتهم أو دونها، مما دفعهم للبحث عن وسائط ووسائل للتواصل فيما بينهم، فكان هذا من خلال ابداع وخلق صور لهذه الآليات من اجل ضبط، وتقييم، وتقويم تلك المجتمعات البشرية، فنتج عن هذه المحاولات إبداعات انسانية متعددة من بينها الفن الذي لازم الوجود الإنساني من اول وهلة.

·واقعة الطف في التمثلات المسرحية

استثمرت واقعة الطف (61هـ- 680م) من قبل الكتاب المسرحيين العرب والعراقيين والايرانين وغيرهم، إذ وجدوا فيها العناصر الدرامية البارزة والكاشفة عن طرفي الصراع المتناقض بين الحق الذي مثله معسكر الامام الحسين(عليه السلام) ومعسكر الشر الذي مثله يزيد بن معاوية، فضلًا عما تتمتع به هذه الواقعة بوصفها حدثًا تاريخيًا يمتاز بمكانة خاصة ومتميزة بين وقائع تأريخية كثيرة؛ لأنه حدث جلل، الامر الآخر الذي دفع الكتاب المسرحيين لتناول الواقعة في نصوصهم هو استمرار ظاهرة التعازي الحسينية المرتبطة بالواقعة واستذكارها سنويًا في ايام عاشوراء من الاول من شهر محرم الحرام الى اليوم العاشر وما بعده، إذ يعاد التذكير بواقعة الطف سنويا ضمن طقوس عاشورائية ومجالس عزائية جعلتها هذه التعازي ظاهرة دينية اسلامية عدها الكثير من المؤرخين والباحثين المستشرقين والعرب من اهم الظواهر التاريخية وابرزها، لذلك تقول المستشرقة السوفيتية تمارا الكساندروفنا في كتابها (الف عام وعام على المسرح العربي) بعد اطلاعها على الاحداث الملازمة لقضية الامام الحسين (عليه السلام) ما قبل وما بعد بوصفها مادة مشبعة بالدراما الحقيقية والتراجيديا تقول ولا يتبقى لنا في النتيجة إلا ان نأسف لعدم ولادة شكسبير عربي كان باستطاعته تجسيد طباع ابطاله وسلوكهم في الشكل الفني للتراجيديا الدموية، ان في هذه المادة من المؤثرات والقسوة والتعسف والشر ما لايقل عما كانت عليه في مواضيع عصر حروب الوردة الحمراء والوردة البيضاء، لكن عدم توافر الاساس الادبي المتين فقد ادى مصير الامام الحسين (عليه السلام) المأساوي وادت معركة كربلاء الى ولادة التعزية في العاشر من محرم التي تعد من اقدم العروض المسرحية في العالم الاسلامي

إذ تعد (ليلة العاشر من محرم) اشد ليلة مرت على اهل بيت الرسالة حفت بالمكاره والمحن واعقبت الشر واذنت بالخطر، وقد قطعت عنهم الحالة القاسية من بني امية واتباعهم كل الوسائل الحيوية،

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

وهناك ولولة النساء وصراخ الاطفال من العطش المبرح والهم المدلهم الا ان الامام الحسين عليه السلام يختصر كل ذلك بقوله المشهور (إني لا ارى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما).

ففي تجسيد واقعة الطف نجد في كل شخصية من انصار الامام الحسين(عليه السلام) هي شخصية تحمل في داخلها قصة وعمل فني خاص لما تحمله هذه الشخصيات من دروس وعبر من الشجاعة والايثار والصبر، ترسم صور لحقيقة الإنسان الذي يعشق العيش بكرامة وحرية ورفض الذل والهوان، مثلت هذه الشخصيات العظيمة الخطوط الامامية للدفاع عن الإنسانية والوقوف بوجه التحديات التي تحيط بمستقبل الامة الاسلامية، وعلى هذا الاساس فإن ثورة الحسين عليه السلام فيها حكاية عن مستقبل البشرية باجمعها، إذ رأى الامام عليه السلام ان مستقبل البشرية يتوقف على شهادته ودماءه التي روت الارض لاصلاح حال البشرية وهذا ما تضمنته مقولته الشريفة (إني لم اخرج اشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ضالمًا وانما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي رسول الله).

هنا نرى البطل التراجيدي في طقوس عاشوراء وليد الصراع القائم بين الحياة الناقصة وتطلعات النفس البشرية نحو احلام بعيدة وسامية وهو ايضًا تعبير عن الصراع بين الخير والشر ويحكم هذه الصراع مضمون اخلاقي كما في كل مأساة وهو ذو قوام روحي وله قوانين جمالية خاصة به، لقد جاء البطل التراجيدي الحسين (عليه السلام) يحمل روحه على كفه ليموت وحتى الموت هنا لا ينهي الحياة، بل العكس فالمأساة قد بدأت وأن الحياة مستمرة في نفس الصراع يحمل الحسين(عليه السلام) في هذه الملحمة التاريخية الخالدة وهي معركة الطف ابطالاً تراجيدين مكتملين لفكرة المأساة الملحمية، فشخصية الحر الرياحي تحمل في جوها النفسي والاخلاقي والفكري تناقضًا مريرًا فهو امير اموي وقائد في جيوش يزيد بن معاوية المعادية للامام الحسين(عليه السلام) ولكن هذا الصراع يقوده باكيًا معتذرًا الى الحسين ليضع حدًا لهواجسه وظنونه التي ربما توصله الى الجنون واخيرًا اصبح شهيدًا مع الحسين (عليه السلام)، ان هذه الملحمة التاريخية الكبيرة قد تكونت من مجموعة كبيرة من الشخصيات التراجيدية التي تنطوي مدلولاتها على الكثير من العناصر الدرامية، ولا تقتصر الملحمة على الصراع بين الطرفين المتحاربين فالطرف الاول المتمثل بالحسين وأصحابه آمنوا بالقدر المكتوب وهو الاستشهاد ومن اجل المبدأ ولكنهم يعيشون في داخلهم ومع الطرف الآخر صراعًا يتمثل في العطش وخاصة عطش الاطفال، ومن ثم حماية النساء وهو صراع من اجل البقاء من هنا يبدأ الاستلهام والتقديم المسرحي ألم تخلق الالهة اوديب هذا البطل التراجيدي ليخرج لنا قدرًا مكتوباً على بطل تراجيدي شاء له ان يموت ويحيا كل عام في العراق والعالم الإسلامي ألمًا، فالبطل كلكامش صاحب الملحمة الشهيرة والذي ذهب ليبحث عن الخلود فوجد انه يبقى خالداً بأعماله في أذهان الناس، ففي واقعة الطف اتى الخلود يبحث عن الحسين ليعيش حسينيًا لما تضمنة هذه الشهادة العظيمة من عبر ومبادئ تخط للإنسانية قوانينها واعرافها لكي تحيا بكرامة وعزة وشموخ ترفض الذل والهوان، ، فالحسين (عليه السلام) بقى خالداً كبطل تاريخي وتراجيدي وديني في اذهان الناس مما دفع الكثير من الكتاب العراقيين والعرب وحتى ربما بعض الاجانب من استلهامه في قصصهم وتقديمه تمثيليًا على المسارح.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

وفي سياق التحليل الثقافي يقرأ النص المسرحي الحسيني ليشكل نسق صراع البطولة، الذي يعني في الدراما القتال والنزاع والخلاف، اي يخفي الصراع خلف ظهره النزاع الاجتماعي، الذي يستعمل غالبًا الأشكال الملحمية والدرامية، وتعمل هذه الأشكال على تفجير الاعماق التراجيديا الكامنة في الصراع، والبطل في الخطاب الدرامي يعد المرتكز في النص، وله حضور مائز يمنحه صفة التميز، فصراع البطولة في النص المسرحي الحسيني يمثل تعبير عن المتناقضات الواقعة في حياة الناس المتمثلة بصراع الخير مع الشر والحق ضد الباطل، والعدل ضد الظلم.

- **نصوص مسرحية مختارة**

هنالك العديد من النصوص المسرحية التي تناولت واقعة الطف وتمثيلها للمعاني الخالدة التي شكلها استشهاد الامام الحسين (عليه السلام) واصحابه وال بيته في تلك النصوص وما يعبر عنها (عليه السلام) في استشهاده في تلك الواقعة من معاني وعبر ومن هذه النصوص وهي كالاتي:

1.مسرحية (هكذا تكلم الحسين) للشاعر المصري محمد العفيفي وهي مسرحية شعرية في خمسة فصول نشرت عام 1969.

تتكون المسرحية من خمسة فصول ومما تجدر الاشارة إليه أن اللغة الشعرية التي اعتمدها العفيفي وفي اغلب مشاهد المسرحية وخاصة المتعلقة بمواقف الإمام الحسين عليه السلام والمواقف التي اعقبت استشهاد اهل بيته واصحابه الميامين نجدها لغة شعرية عالية التأثير عند قراتها ففي الفصل الثاني وفي المشهد الاول منه يكشف النص ظهور ساحة بيت الامام الحسين وحوله فئات من اهل المدينة يتشاور معهم فيما يجب عمله للخلاص من تخطيط يزيد واعوانه مؤكدين على ثباتهم مع الامام الحسين عليه السلام الذي يقول: لن نرجع حتى تنهشنا ذؤبان الفلوات، وتمزقنا اظفار الجلادين، فليسرع بعد الشقة خلف خطانا، حتى لا تهوي جذوتنا في ظلمات الحيرة، وبأنفسنا نور يجري مجرى الدم، ولننقش بالدم ما يقراه الليل بعين النهار، وتعانقه خفقات قلوب ما خفقت بعد، أو نرجع للامة حريتها، فتعود إلى الله ولا تسجد للطاغوت، وكذلك يتحاور مجموعة من الزعماء بعدما خلا الامام الحسين الى وداع ولده علي الأكبر وهو يسلم الروح بين يديه، دوحة قد سقطت اوراقها الخضر جميعا، وعليها طائر الغيم يغني نغمًا يبكي السماء، فهي حمراء كجذوة، منذ سوى معول الموت برمل الطف ، جدران ذويه.

2. مسرحية (ثار الله) بمراثي (الحسين ثائرا والحسين شهيدا) للشاعر عبد الرحمن الشرقاوي 1969-1970. تقع هذه المسرحية في ثلاثة عشر منظر بحسب تصنيف الكاتب اعتمد الشرقاوي في مسرحيته على مرجعية تاريخية لأحداث واقعة الطف وحسب تسلسل تفاصيل احداثها وعلاقة ذلك بمكان وزمان الحدث وتأثير ذلك الحدث على افعال الشخصيات بحسب موقعها في طرفي الصراع إلا انه بدأ من زمن بعيد من زمن الواقعة،

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

فاهتم برسم صورة شعرية تتناسب وحجم الفاجعة فمثلا يقول الحسين في المنظر الرابع من الفصل الاول حينما بقي وحده وعياله من النساء والاطفال، الحسين: انا وحدي ها هنا أنا وحدي وظلام الليل والهول وفي الأعماق ما زال شعاع من رجاء لم يعد غير الدم المسكوب فوق الصحراء لم يعد غير الافاعي وفحيح الجرح والويل الثقيل المدلهم لم يعد إلا رياح الموت تعوي في العراء وسعير الضما المجنون في التيه الأصم أين انتم يا أحبائي جميعًا أين انتم؟ أين فتياني ،، أما عاد هنا غير الضياع؟

3. مسرحية رمال من جهنم وتتناول المسرحية تيه يزيد بن معاوية في الصحراء ومناجاته لنفسه ثم جنونه، والمشهد الأول في المسرحية يعج بالجثث والقتلى والجرحى وينتهي برأس الامام الحسين عليه السلام معلقة على حربه على خشبة المسرح، مع مصاحبة لاصوات النحيب والعويل.

3.مسرحية وانتصر الدم، التي تعرض استشهاد الحسين (عليه السلام) عن طريق شخصيتين رئيستين هما طفلة وراو يمثل التاريخ فتسأل الطفلة اسئلة مباشرة ويجيب التأريخ عنها اجابات مباشرة، وعلى الرغم من استخدام لغة التعبير الحركي في بعض مشاهد المسرحية إلا ان الحركات جاءت عنيفة لتصوير مشهد ذبح الحسين(عليه السلام) وقتله إذ يلتف مجموعة من الراقصين يعيدون تجسيد مشهد ذبح الحسين مستخدمين لغة الجسد فجاءت الايماءات والحركات ذات ايقاع سريع، إذ الدوران حول جثة الحسين عليه السلام الملقاة على الارض وضربها وركلها بحركات راقصة على تعذيب الجثة.

وغيرها من المسرحيات التي نفذت على خشبات المسرح لتجسيد واقعة الطف، فضلا عن ما يقوم به افراد المجتمع وبجهود فردية لتجسيد واقعة الطف من قبل افراد المجتمع تحت عنوان (التشابيه او الشبيه) والتي تنفذ بامكانات وبجهود فردية من قبل افراد المجتمع بقصد تقديم العزاء والمواساة لعرض ما جرى في يوم العاشر على الامام الحسين وال بيته.

- **المضامين التربوية والاخلاقية في المسرح الحسيني**

1.عدم الرضوخ إلى الذلة والمهانة: ذلك أن الله كتب العزة للمؤمن، وفوض إليه أموره كلها إلا أن يذل نفسه، وقد عبر الإمام الحسين(عليه السلام) عن هذا المبدأ بقوله: (هيهات منا الذلة).

2.الحرية: فالإنسان الحر يكون أكثر اعتزازًا بنفسه وأكثر قبولًا للخير وميالًا للفضيلة وهكذا استطاع الامام الحسين (عليه السلام) اراد ان يعظم من اهمية الحرية ورفض الظلم بالثورة التي تحقق حرية الإنسان وكرامته.

3.المساواة وعدم التمييز: في واقعة الطف، لم يكن هناك تمييز بين الأغنياء والفقراء بين أصحاب الحسين(عليه السلام) لقد اجتمعوا جميعًا على كلمة الحق وواجهوا الموت من أجل مبادئهم وقضيتهم، كان هناك أفراد من مختلف الطبقات الاجتماعية، منهم التجار، والأغنياء، والفقراء، والعبيد، والموالي، وجميعهم قاتلوا بشجاعة واستبسلوا في الدفاع عن نصرة الحق وعن الإمام الحسين عليه السلام.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

4.التسامح الديني: وتجلى هذا التسامح بوجود عائلة نصرانية هبت لنصرة الحق ضد الباطل ولنصرة الامام الحسين فالعبرة من وجود وهب النصراني وعائلته التي تشاركت الحزن والمصيبة مع اهل البيت عليهم السلام، تتجلى هذه الصورة في إظهار التسامح الديني والوحدة في مواجهة الظلم، يمثل هذا الحدث تضحية شخص من ديانة أخرى إلى جانب الإمام الحسين في سبيل الحق والعدل، مما يعكس رسالة عالمية عن أهمية التعاون والتكاتف بين الأديان المختلفة لمواجهة الطغيان والظلم.

5. لايثار: وهو من ابرز المفاهيم المستقاة من واقعة الطف والايثار يعني الفداء وتقديم شخص آخر على النفس وبذل المال والنفس والنفيس فداء لمن هو افضل من ذاته، ففي واقعة الطف جسد المسرح الحسيني هذا اللون من الايثار من خلال التضحية بالنفس واهل بيته واصحابه والموت عطشًا لاجل تصحيح مسار الامة الاسلامية، كلها دروس للايثار والتضحية من اجل صلاح الامة الاسلامية فضلا عن ما يجسده المسرح الحسيني للادوار الشجاعة والنبيلة التي تظهر حجم الايثار في كل الواقعة ومنها عندما وقف الامام الحسين عليه السلام ظهيرة عاشوراء لاداء صلاة الظهر كيف وقف اصحابه يقونه سهام العدو بصدورهم، وكذلك عندما برز ابي الفضل الى شاطئ الفرات وكان ضمائنا لكنه تذكر عطش اخيه الحسين واطفاله فلم يشرب منه، وغيرها من مواضع الايثار التي جسدها المسرح الحسيني.

6.الشجاعة: وهي الاقدام عند منازلة الخصوم وعدم تهيّب المخاطر، واقتحام الخطوب، وتعتبر الشجاعة من الصفات المهمّة التي تميّزت بها شخصية الإمام الحسين عليه‌السلام وأصحابه وأهل بيته، اذ نقرأ عن الاندفاع والحماس المنقطعي النظير الذي جسدوه في سوح الوغى، والتسابق على بذل الأرواح رخيصةً فداءً للدين والمبادئ، ورسمت ملحمة كربلاء، منذ انطلاقها وحتى مراحلها الأخيرة، مشاهد تتجسد فيها معالم الشجاعة بشتى صورها، والأمثلة على ذلك كثيرة، فالتصميم الذي أبداه الإمام الحسين (عليه‌السلام) في معارضة يزيد ورفض البيعة له.

7. الشهامة والمروءة: وتعد من المعالم الاخلاقية والنفسية البارزة لدى الحسين عليه‌السلام وأنصاره، والتي تجسدت في ملحمة عاشوراء، وهذه النفسية التي تجعل الإنسان يشمئز من الطغاة، ويرفض الانصياع لسلطان الظلم ، ويحب الحرية والفضيلة، ويتجنّب الغدر ونقض العهد وظلم الضعفاء،

ويدافع عنهم، ولا يتعرض للابرياء، ويقبل العذر، ويقيل العثرة، ويعترف بالحق الانساني للآخرين، هذه الأمور كلها تعتبر من معالم الشهامة والمروءة التي تجسدت على ارض الطف لقد رفض سيد الشهداء عليه السلام عار البيعة ليزيد، ولما واجه جيش الكوفة في طريق كربلاء، رفض اقتراح زهير بن القين الذي أشار عليه بمحاربة هذه الفئة من قبل أن يجتمع إليهم سائر الجيش، وقال عليه السلام : وما كنت لأبدأهم بالقتال.

8. الصبر: ويعني الثبات والصمود والمقاومة، ومجابهة العوامل التي تعيق الإنسان عن بذل مساعيه في سبيل هدفه، إضافة الى تحمّل المصاعب والشدائد في سبيل أداء الواجب وإحراز النصر.

وقد رسمت واقعة كربلاء أجمل صور الصمود والثبات في سبيل العقيدة وتحمّل الصعاب،

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

حتى أضحت سببًا لمجد وخلود تلك الملحمة، وكما قال أمير المؤمنين عليه‌السلام (الصبر يهوّن الفجيعة)
فقد هانت بعين الحسين عليه‌السلام هذه المصيبة الجسيمة بفعل الصبر والصمود الذي تجسد في يوم عاشوراء ، لقد انزل الله تعالى عليه الصبر بقدر التحديات والمصائب التي ألمت به وفي ملحمة كربلاء كان الصبر مشهودًا في القول والعمل لدى سيد الشهداء (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه الصابرين الأوفياء وعلّم درس الصبر للنساء لعلمه باتصافهن بالرّقة وسرعة الجزع عند المصيبة.

9. الوفاء: معناه التمسك بالعهد والثبات على الميثاق والعمل بالواجب الانساني والاسلامي في ازاء شخص آخر جدير بذلك، وهذه الخصلة من أولويات معجم عاشوراء، ولها في قاموس الشهداء مكانة رفيعة، وهي من أشرف الخصال ودليل على المروءة وكانت عاشوراء ساحة وفاء من جهة، وغدر من جهة أُخرى، وضرب العباس بن علي عليه‌السلام مثلاً في الوفاء، فقد رفض كتاب الأمان الذي عرضه شمر بن ذي الجوشن عليه، ولم يترك أخاه الحسين وحيدا، وقدم أخوته الثلاثة فداءً له.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

المصادر

1.بوروينة، محمد، أهمية المسرح في المجتمع، مجلة رفوف، الجزائر، مجلد11، ال عدد2، 2023.

2.حبيب، محمد حسين محمد، استثمار واقعة الطف في المسرحية العراقية (مسرحية ثانيةً يجيئ الحسين) أنموذجًا، درسات نجفية.

3.السلطاني، إيمان مطر مهدي، صراع البطولة في النص المسرحي الحسيني(2003-2020) نماذج مختارة دراسة في ضوء التأريخية الجديدة، مجلة دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد 72، 2024.

4.السلطاني، جمال غازي حسين حبيب، المضامين الفكرية والتربوية للمأساة الحسينية في النص المسرحي العراقي، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ال عدد24، 2015.

5.قاسم، الشيخ نعيم وآخرون، ثورة الامام الحسين (عليه السلام) قراءة في الأبعاد والدلالات، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، 2008.

6.لأشين، صديقة عبد المنعم عبد الغني احمد، العلاقة بين العرض المسرحي والمتفرج دراسة في مسرح التعازي الشيعي، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، مصر، العدد2، 2014.

7.مغنية، العلامة الشيخ محمد جواد، الحسين وبطلة كربلاء، دار الكتاب الاسلامي، 2005.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

تأسس مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية في بغداد بموجب شهادة التسجيل الصادرة عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء -دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة (1J775330) بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٦، وهو مركز علمي بحثي يهتم بإجراء الاستطلاعات والدراسات الميدانية فضلا عن إعداد الأوراق البحثية والمقالات حول قضايا الحياة المجتمعية للأسرة والمواطن، والدولة بمؤسساتها المختلفة.

- لا يجوز نشر أي من إصدارات المركز ونتاجاته العلمية الا بموافقة خطية صريحة، ويمكن الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا.
- لا تعبر الآراء الواردة في الدراسات او الاوراق البحثية والمقالات عن الاتجاهات الفكرية التي يتبناها المركز و انما تعبر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

للتواصل

00964- 7710122232

Alfaidcenter2011@gmail.com

www.al-faidh.com

العراق - بغداد - الكرادة